

تحليل رسائل الرئيسين: العراقي والإيراني؛ على ضوء نموذج تحليل الخطاب النقدي

روح اله نصیری*

أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة أصفهان

تاريخ القبول: ١٤٤٣/٢/٦

تاريخ الوصول: ١٣٤٢/٣/٢٤

الملخص

بعد مضي حوالي عامين على الحرب العراقية الإيرانية، وفي وقت لم تكن فيه العلاقات العراقية الإيرانية حرباً ولا سلاماً، كتب صدام حسين، أكبر مسؤول سياسي عراقي، رسائل إلى المسؤولين الإيرانيين رفيعي المستوى. أراد صدام من خلال كتابة هذه الرسائل أن يقدم نفسه رجل سلام يسعى إلى حل سلمي للأزمة العراقية الإيرانية. كما ردَّ المسؤولون الإيرانيون على تلك الرسائل جميعها بتوخي الدقة والشورى بينهم. كان دور هذه الرسائل هاماً جداً؛ لأنها كتبت بعد سنوات من الحرب والخسائر الفادحة والمذابح الشديدة بين البلدين. كان المسؤولون في كلا البلدين حريصين للغاية في ما يكتبون. إنَّ الحرب بين البلدين تحوّلت من معركة جسدية إلى محاولة إقناع لفظي. لذلك، من المهم والضروري دراسة هذه الرسائل من خلال منهج تحليل الخطاب النقدي. بعد دراسة هذه الرسائل على ضوء الخطاب النقدي، قد اتضح أنَّ هناك علاقة جدلية بين الأيديولوجيا والسلطة ونص الرسائل. كلُّما كان الناشط السياسي والاجتماعي أكثر قدرة من حيث السياسة والاجتماع، فكانت إمكانياته اللغوية أكثر. ولهذه الإمكانيات اللغوية، دور هام في إظهار السلطة والتفوق أيضاً. استخدم المسؤولون في كلا البلدين - ربَّما بشكل عفوي - مكونات الخطاب لإنشاء كلام نافذ وموجَّه مثل: الاستقطاب، الإحالة، الخيارات المعجمية، صفات المشاركين، الدلالة الضمنية، التفريق والمغالطة.

الكلمات الرئيسية: الخطاب، تحليل الخطاب النقدي، رسائل الرئيسين.

١- المقدمة

بعد مضي حوالي عامين على الحرب المفروضة، أحسَّ صدام حسين بأنَّ سلطته أخذت تتضاءل، حينذاك قام بتغيير مواقفه، وبدأ يتظاهر بأنه رجل سلام. فكتب رسائل إلى كبار المسؤولين الإيرانيين يتحدث فيها عن حلٍّ سلمي للأزمة. وردَّ المسؤولون الإيرانيون الكبار على تلك الرسائل بعد التشاور وتوحيُّ الدقَّة. أدَّى هذا الردَّ إلى كتابة رسالة جديدة من قبل الرئيس العراقي، أعقبها ردٌّ من المسؤولين الإيرانيين. بما أنَّ هذه الرسائل كُتبت بعد سنوات من الحرب الشديدة بين البلدين كانت ذات أهمية أيديولوجية وسياسية واجتماعية كبيرة. (هاشمي رفسنجاني، ١٣٨٦: ١٢ و١٣). هذه الرسائل تحمل أيديولوجيتها الخاصة بما يمكن دراستها من خلال منهج تحليل الخطاب النقدي. عند تحليل خطاب النص، يتمُّ التركيز على الأبعاد الأيديولوجية والاجتماعية والثقافية أكثر من الجوانب النحوية. غالباً ما تكون الرسائل السياسية هادفة ومتأثرة من الوجهة الفكرية لكتّابها. يتصل منتجوا مثل هذه الرسائل السياسية بمصادر السلطة ويعبِّرون عن أيديولوجيتهم ضمناً أو بشكل صريح في سياق النص. يمكن تتبع ودراسة الأيديولوجيات المطروحة في مثل هذه الرسائل باستخدام نموذج تحليل الخطاب النقدي. الهدف من تحليل الخطاب السياسي هو فهم: كيف يعمل الخطاب السياسي وكيف ينجز وظائفه التي ترتبط غالباً بالتمسك بالسلطة وإضفاء الشرعية عليها والاحتفاظ بها (شعبان فاطمة، ٢٠٢٠: ١٥٨٤) لذا ترصد الدراسة الحالية على ضوء نظرية تحليل الخطاب، الأساليب والمكونات اللغوية وما فوق اللغوية المستخدمة في رسائل الرئيسين لإقناع المتلقي.

إنَّ القول والأداء كوجهين للعملة واحدة؛ مثلما يكون للفعل تأثير إيجابي أو سلبي على الجمهور، فإنَّ للكلام أيضاً تأثيراً إيجابياً أو سلبياً على الجمهور. وبما أنَّ هذه الرسائل قد كُتبت في موقف حرج للغاية فكان يحتمل أن تذهب كلمة أو جملة معينة بعلاقات البلدين إلى اتجاه أسوأ. وكل هذا يظهر لنا أهمية دراسة تلك الرسائل من منظور تحليل الخطاب؛ إذ تكشف لنا مكونات الخطاب التي استخدمها مؤلفو الرسائل لتجعل كلماتهم أكثر قوة وإقناعاً لبعضهم البعض، المكونات التي ربما يمكن أن تعيِّر المسير المتأزم بين البلدين إلى شارع التفاهم.

في هذه المقالة، نحن بصدد الإجابة عن السؤالين التاليين من خلال تحليل الرسائل على ضوء نموذج تحليل الخطاب:

١. كيف تمَّ تمثيل مكونات الخطاب السوسولوجي الدلالي في الرسائل المتبادلة بين الرئيس العراقي وكبار المسؤولين الإيرانيين؟

٢. ما هي استراتيجيات الإقناع المستخدمة في رسائل الرئيسين؛ العراقي والإيراني؟

ونظراً للوضع السياسي المتوتر أثناء الحرب، يُتوقع من كل جانب، استخدام مكونات الخطاب المؤثرة في جميع الرسائل لتبرير أيديولوجيته ونقلها إلى الجمهور بأقصى قوة. ونظراً إلى الوضع السياسي والاجتماعي لمؤلفي الرسائل، من المتوقع أيضاً أن تخطي رسائل كلا الجانبين على أعلى نسبة من تواتر مكونات الخطاب من حيث التكرار.

١-١- الدراسات السابقة

من خلال دراسة خلفية البحث، تمَّ العثور على العديد من الدراسات التي قد تطرَّقت إلى تحليل الأعمال الأدبية من

منظور الخطاب النقدي. لكن ذكر كل هذه الأعمال خارج نطاق هذه المقالة؛ لذلك، نكتفي بتقديم عدد من المصادر الأكثر صلة بالمقال الحالي من حيث التنظير:

- كتب نورمان فركلاف كتاباً بعنوان: «تحليل الخطاب؛ التحليل النصي في البحث الاجتماعي»^١، وترجمه طلال وهبة (٢٠٠٩م)، يعتبر هذا الكتاب مدخلاً إلى التحليل الاجتماعي للغة المحكمية والمكتوبة بالنسبة إلى الذين يملكون نوعاً من الخلفية في التحليل اللغوي ويعتبر تحليل النص جزءاً أساسياً من تحليل الخطاب.

- كما كتب حلمي محمود محمد (٢٠١١م)، مقالاً يحمل عنوان «خطاب مبارك الأخير خلال ثورة ٢٥ يناير: دراسة في تحليل الخطاب ثلاثي الأبعاد» وقد درس فيها جميع الأشكال الخطابية التي وظّفها خطاب "مبارك" الأخير بهدف استمالة الجمهور. وقد سلّط الضوء على مدارس تحليل الخطاب ذات البعد النقدي واللغوي والمعرفي.

- وهكذا كتب فان دايك (٢٠١٤م) كتاباً تحت عنوان «الخطاب والسلطة»: يقدم هذا الكتاب إسهامات نظرية مهمة، تهدف إلى تطوير العدة النظرية لدراسات الخطاب بهدف تحقيق فهم أفضل للعلاقة بين الخطاب والمجتمع.

- كما ناقش ياسين محمد الزمان (٢٠١٥م)، رسالة جامعية بعنوان «تحليل الخطاب السياسي الافتتاحي: خطاب باراك أوباما» على ضوء تحليل الخطاب مستخدماً نموذج "فيركلاف"، والأساليب اللغوية المستخدمة في الخطاب الثاني لـ "أوباما" بصفته رئيس الولايات المتحدة الأمريكية للكشف عن أيديولوجيته السياسية.

- وأيضاً كتب يوسف عبد الرحيم ونبال نبيل نزال (٢٠١٥م)، مقالاً بعنوان «الخطاب الأخير للرئيس بن علي؛ دراسة في التحليل الخطاب السياسي»: اهتم الباحثان بتحليل الخطاب الأخير للرئيس التونسي، وقد سلّط الضوء على المرسل والموضوع والمرسل إليه للكشف عن عناصر النموذج النصي والترابط الذي يجعل النص قوياً وناجحاً.

- وهكذا كتب عمر البشير (٢٠١٩م) مقالاً بعنوان «تحليل الخطاب الأخير للرئيس السوداني عمر البشير في مواجهة الثورة الشعبية السودانية...»؛ اعتمدت هذه الدراسة على ضوء منهج تحليل الخطاب النقدي، المنهج التكاملي في دراسة تحليل الخطاب باستخدام مقارنة كل من فيركلاف وفان دايك لتحليل الخطاب وذلك للدمج بين التحليل النصي للخطاب والتحليل الاجتماعي والثقافي والأيدولوجي.

وتجدر الإشارة إلى أنه بعد عمليات البحث العديدة، لم يتم العثور على أي مقال يدرس رسائل الرئيس العراقي وكبار المسؤولين الإيرانيين من منظور تحليل الخطاب النقدي. بما أنّ هذه الرسائل قد كُتبت في خضمّ الحرب العراقية الإيرانية، فإنّها بالتأكيد نصوص أيديولوجية ويمكن دراستها من منظور خطاب نقدي ولعلّ هذا من ميزات ومستجدّات هذا المقال.

¹ - Analysing discourse textual analysis for social research

٢- الخطاب

الخطاب هو نفس اللغة بوصفها منهجاً أو سلوكاً اجتماعياً. الوظيفة الاجتماعية تشير إلى مجموعة من الإجراءات والسلوكيات والمواقف التي يتم استخدامها لأداء عمل ما وتحقيق هدف ما في مجتمع معين (يارحمدي، ١٣٨٥: ٦٥). تحليل الخطاب يتطرق إلى الأنماط اللغوية المستخدمة في النص وأيضاً يدرس العلاقة بين اللغة والسياقات الاجتماعية والثقافية التي يُستخدم فيها النص. (Paltridge, 2016, p.14). الخطاب بنية معقدة تتضمن شبكة من المضامين المرتبطة بزمرة من المرجعيات اللغوية والسياقية والفكرية والاجتماعية على أن تصدّر من متكلم عاقل وترتبط بغرض ما (محمد، ٢٠١٦م: ١٢). يركز تحليل الخطاب على علاقة النص بما يحيط به آخذاً بعين الاهتمام العلاقة بين لغة النص والسياقات الاجتماعية والعقدية والثقافية التي استعملت فيها، وكيف انعكست هذه العلاقات في ثنايا النص. كما يحاول الكشف عن المسالك والوسائل المستعملة في تأليف الخطاب مروراً بالوقوف على الافتراضات التي ينطلق منها المؤلف. وصولاً إلى تحليل شخصيته وتفسير أدواته اللغوية، في حين يهتم التحليل الدلالي بالدوال الوضعية والبنية الدلالية للمفردات والجمل (محمد، ٢٠١٦م: ٢٢).

إنّ التحليل النقدي للخطاب يجب أن يقوم على وجود راسخ للسياق، والفاعلون الاجتماعيون الذين يشتركون في صنع الخطاب لا يعتمدون فقط على استخدام خبراتهم واستراتيجياتهم الفردية ولكنهم يعتمدون على أطر جماعية للمدركات مثل التمثيلات الاجتماعية (مخنفر، ٢٠١٨م: ٤). يمثّل تحليل الخطاب النقدي نمطاً من بحوث الخطاب التحليلية التي تدرس طرائق تنفيذ سوء توظيف السلطة واستمرارها ومقاومتها وهيمنة الاجتماعية وعدم المساواة بواسطة النص والحديث في السياق الاجتماعي والسياسي، ويمكن محللوا الخطاب النقدي في مثل هذا الحقل البحثي من اتخاذ موقف يتحدّى السلطة الاجتماعية المهيمنة بوضوح، لكي يفهموا ويفضحوا عدم المساواة الاجتماعية ومن ثم يقاوموها (فان دايك، ٢٠١٤: ٨٩).

إنّ الحوار ليس مستقلاً عن قضايا الخطاب مثل: السلطة والأيدولوجيا والبنية الاجتماعية والمؤسسات الاجتماعية؛ لأنّ اللغة والسلطة واللغة والخطاب مرتبطان جدلياً (آفا گل زاده، ١٣٩٢: ٥٨). يقوم الخطاب السياسي بأداء مجموعة من الوظائف الأيدولوجية تتمثّل في: تعميم الخاص، والتبرير، ومنح الأخطاء طابعاً أبدياً، والاستقطاب، والإحالة، والخيارات المعجمية، صفات المشاركين، الدلالة الضمنية، التفريق والمغالطة (محمد؛ ١٩٩٠م؛ صص ٤٠-٤٤). يدرس تحليل الخطاب كيفية إنشاء المعنى وبلورته فيما يتعلق بالعوامل اللغوية والعوامل غير اللغوية والسياق الاجتماعي والثقافي والموقف (قجري ونظري، ١٣٩٢: ٣٨). أمّا "تحليل الخطاب النقدي فهو أحد أساليب تحليل الخطاب التي تدرس كيفية إنتاج السلطة ولا يكتفي بهذه الدراسة بل يتتبع إعادة إنتاج السلطة وعدم المساواة والسلطة الاجتماعية في السياق السياسي والاجتماعي (Schiffrin, 2001, p.12).

الهدف في تحليل الخطاب هو اكتشاف الدلالات والأهداف الأيدولوجية المخفية في الطبقات الداخلية للغة من خلال دراسة الطبقات الفوقية منها؛ لأنّ اللغة والعقل مرتبطان، وحتى اللغة يمكنها التغلب على عقل الجمهور، اللغة تستطيع أن تبرّر فكرياً ما وتجعل الفكر المعاكس وهمياً وغير طبيعي. الخطاب هو الأيدولوجية المستخدمة في النص. (يارحمدي، ١٣٨٥: ٦١). الأيدولوجيا والقوة عاملان بشريان مهمّان يؤثّران على وتيرة الاتصال اللغوي في طبقات مختلفة من النص والكلام (قاسمي و

نيازي، ١٣٩٨: ٣٣٥). معظم النصوص [السياسية] لها طابع أيديولوجي، والكاتب لا يتصرف بحيادية في إنتاج النص، ولا شك أنه يستخدم أيديولوجيته الخاصة (Van Dijk, 2000, p.33).

٤- تحليل الرسائل

في ٢٥ أبريل ١٩٩٠، تم إرسال رسالة سرية من الرئيس العراقي إلى قائد الثورة الإسلامية ورئيس الجمهورية الإسلامية. كان حامل تلك الرسالة عضواً من منظمة التحرير الفلسطينية، وفي بادئ الأمر إيران لم تصدق ذلك الإدعاء؛ لأنّ الأوضاع السياسية والأعراف الدبلوماسية في إيران والعراق لم تكن في وضع يبرّر إرسال الرسالة من جانب البلدين إلى بعضهما البعض. للتأكد من مضمون الرسالة وأصالتها وإعداد الرد المناسب على القضية، عقد اجتماع في ٢٨ أبريل ١٩٩٠ بحضور قائد الثورة الإسلامية الإيرانية وأعضاء المجلس الأعلى للأمن القومي والمستشارين السياسيين للقيادة والرئاسة.

كانت خصائص محتويات الرسالة كافية لأخذ الأمر على محمل الجد، وبتشاور شامل وبتوجّهي الدقة تم إعداد الرد على الرسالة وتسليمها للممثل العراقي في جنيف من خلال الممثل الإيراني هناك، ثم استمر تبادل الرسائل حتى اثني عشرة رسالة. (هاشمي رفسنجاني، ١٣٨٦: ١٢ و١٣).

٤-١- الرسالة الأولى لصدّام

في هذه الرسالة، قد خاطب صدام حسين متلقي الرسالة بألقاب "سيادة علي خامنئي" و "سيادة هاشمي رفسنجاني". هنا، قد استخدم صدام مكونين من مكونات الخطاب، "الخيارات المعجمية" و "الدلالة الضمنية"، لإنتاج نص موجه وأنفذ. إذ إنّه لقد استخدم عنواناً خاصاً بين أنواع الخطابات المختلفة التي يمكن استخدامها لتسمية المسؤولين الإيرانيين. لقد تعمّد صدام تجاهل الشخصية القانونية لمتلقي الرسالة، كما لم يعتمد ألقاباً محترمة تتناسب مع الوضع السياسي للشخصيتين. من منظور تحليل الخطاب، هذا النوع من التسمية؛ يؤدي إلى الانتقاص من صورة المخاطب السياسية والاجتماعية والدينية.

« لكي لا يندفع الحوار بعيداً وتبرز فيه عوامل الاختلاف لتتغلب على ما نرجوه من اتفاق على تحقيق السلام الفعلي والشامل والفوري، لا بين العراق وإيران فحسب، بل وبين الأمة العربية وإيران... » (هاشمي رفسنجاني، ١٣٨٦: ٦٨). صدام قد طلب السلام بين البلدين وصرّح توجّهه بأنّ هذه المسألة ليست ناجمة عن الضعف، بل هي سعي وراء النوايا الحسنة وأي تفسير آخر هو تفسير شخصي وخاطي. في هذا الجزء من الرسالة، استخدم صدام عنصر "المغالطة" كعنصر من عناصر الخطاب ويريد أن يفهم الجمهور بأنّه ما زال في موقف قويّ.

ينسق صدام مطلبه مع التعاليم الدينية حتى يجعل كلماته قوية قدر الإمكان ويقنع الجمهور بأنّه رجل سلام يكره الحرب بين البلدين المسلمين: « أحاطبكم هذه المرة مباشرة لاقتراح عليكم في هذا الشهر المبارك الذي يصوم فيه المسلمون، عقد لقاء مباشر بيننا... كما اقترح أن يعقد اللقاء في مكة المكرمة قبله المسلمين والبيت العتيق الذي بناه سيدنا إبراهيم عليه السلام أو في أي مكان آخر يتم الاتفاق عليه بيننا » (هاشمي رفسنجاني، ١٣٨٦: ٦٨ و٦٩). في هذا القسم من الرسالة استُخدمت مكونات الخطاب التي تجعل الكلام أقوى وأنفذ مكونات ك: «الخيارات المعجمية»: مكة المكرمة، قبله المسلمين، والبيت

العتيق. ومكونة «تقليل السلبات وإبراز الإيجابيات»: حاول صدام أن يُصوّر نفسه مسلماً مسلماً فقد أبرز إيجابياته وهكذا قد منح نفسه الشرعية والقبول. وقد سعى أن يحوّل سلبياته إذ إنّه قد بدأ حرباً شاملة ومدّرة على البلد الجار والمسلم. وهكذا استخدم صدام مكونات الخطاب التي يكمن سلبياته وراء قناع من الإسلام ويبرز إيجابياته ويجعل كلامه إيديولوجياً يقنع الجمهور. إنّ صدام الذي قد مرّق بفخر معاهدة السلام الجزائرية أمام وسائل الإعلام وبدأ حرباً مدّرة، يريد الآن سلاماً شاملاً وفورياً. وفي هذا القسم من الرسالة قد قدّم صدام نفسه ممثلاً للعرب جميعاً مما يدلّ ضمناً على الخلافات والتباعد بين إيران والعرب. كما قلنا آنفاً: إنّ «التفريق» هو أحد مكونات الخطاب وقد استخدم صدام هذه المكونة ليضعف دور إيران ويجعل نفسه في موقف أقوى.

يبدو أنّ صدام من خلال عرض مكة كمكان للقاء أراد أن يحقق عدة أهداف. ولا بد من التذكير بأنّ العلاقات بين إيران والسعودية كانت آنذاك في أدنى مستوى ممكن، فاقترح السعودية كمكان للقاء يجعل دور العراق أقوى في المفاوضات المحتملة وبما أنّ مكة المكرمة مدينة مقدّسة، فتقدّم هذا المكان، كمكان للقاء يصوّر صدام شخصاً متشرّعاً ومقدّساً. وكل هذه العوامل تقوّي دور صدام وتضعف دور إيران. صدام في هذا القسم من الرسالة قام بتهميش سلبياته وإبراز إيجابياته وهذا هو من مكونات الخطاب.

«فمن بين الاحتمالات التي يحملها الموقف أن تسعى القوى التي كان لها يدٌ في الفتنة التي وقعت بين إيران والعراق إلى تجديد الحرب مرّة أخرى بما يبعد السلام من بلدنا ... و إنكم لا بد أن تتابعوا التهديدات التي تتعرض إليها العراق والأمة العربية من جانب الصهيونية وبعض الدول العظمى والكبرى» (هاشمي رفسنجاني، ١٣٨٦: ٦٩).

أحد مكونات الخطاب هو تقسيم العوامل الاجتماعية إلى "الأنا" و "الآخر". في هذا القسم من الرسالة، قد استخدم صدام ألفاظاً مثل: الصهيونية والقوى الغربية العظمى ليجعل إيران والعراق في طيف واحد، يعني في "الأنوات" ويجعل الصهيونية والقوى العظمى الأخرى في الطيف "الآخرين".

بعد انتصار الثورة الإسلامية، عندما كانت إيران في مأزق، انتهز صدام حسين الفرصة، وبشعور من التفوّق العسكري على إيران، ألغى اتفاقية الجزيرة لعام ١٩٧٥م وأظهر نواياه التوسعية وشنّ حرباً شاملة ضد إيران (منصوري، ١٣٩١: ٤٩). لكن بعد أن لم تتحقق أهدافه، فهو يجعل إيران والعراق في طيف الأنوات، والدول الاستفزازية الأخرى في طيف الآخرين. من وجهة نظر تحليل الخطاب، فإنّ هذا الانقسام والاستقطاب يهّمّش سلبيات صدام السابقة وتبعاً لذلك يجعل كلامه أكثر إقناعاً وتبريراً.

قد صوّر صدام من خلال استخدام "الخيارات المعجمية" وبصفتها عنصراً من عناصر الخطاب، إسرائيل والقوى الاستعمارية العظمى على أنّها «قوى شريرة». هذه المكونة الخطابية قد جعلت النص أيديولوجياً وحاول إقناع الجمهور بمدى كره صدام "لأصدقائه السابقين" وبراءته من خطاياهم.

يستمر صدام في استخدام عنصر الخطاب في الاستقطاب، فهو لا يضع إيران في جانب واحد مع العراق فحسب، بل يضع إيران في نفس الطيف مع الأمة العربية بأكملها. يصف صدام إيران والعراق والدول العربية الأخرى في المنطقة بالمسلمين

الذين يجب أن يتحدوا لإنقاذ فلسطين المظلومة. ومن منظور تحليل الخطاب، يعطي هذا الاستقطاب والوصف الجديد للنص صبغة أيديولوجية ويجعله موجّهاً ونافذاً. ويختتم صدام رسالته الأولى بعبارة «اللهم أشهد أنّي قد بلغت» (هاشمي رفسنجاني، ١٣٨٦: ٧٣). استُخدمت هذه العبارة في «الإحالة والاستناد» كمكوّنة من مكوّنات الخطاب وهكذا جعلتها عبارة أيديولوجية قوية. الإحالة بصفتها مكوّنة من مكوّنات الخطاب تشير إلى الذي يعتمد عليه النص، وكلما زاد ثقة شاهد النص، زادت مصداقية النص.

٤-٢- ردّ إيران على رسالة صدام الأولى

بدأ ردّ إيران على رسالة صدام بذكر الله وذكر آل بيت النبي (ص): «الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد عبده ورسوله وعلى آله الأطياب والأطهار» (هاشمي رفسنجاني، ١٣٨٦: ٢٧). في بداية الرسالة، قد تمّ استخدام "خصائص المشاركين" كعنصر من عناصر الخطاب. من منظور تحليل الخطاب، فإنّ بداية رسالة بتذكر الأسماء المقدسة تؤدّي إلى توجيه النص، وبالتالي تقديس الرسالة وكتابها ممّا يجعل النص أيديولوجياً ونافذاً. تمّ استخدمت إيران عبارة "جناب آقاي صدام حسين" (السيد صدام حسين) لمخاطبة صدام. هنا لم يستخدم الألقاب المحترمة والتشريفات الحكومية والسياسية. في هذا الخطاب، اعتمدت إيران عنصر "الخيارات المعجمية" كعنصر من عناصر الخطاب واختزلت شخصية الجمهور من مسؤول سياسي رفيع المستوى إلى شخص حقيقي عادي. ممّا لا شكّ فيه أنّ هناك عدّة كلمات لمخاطبة صدام حسين كرئيس لدولة ما، لكن اكتفت إيران بذكر هذه الكلمة لإيصال بعض الدلالات الضمنية إلى الجمهور، ممّا يمكن أن تكون إحداها استياءً شديداً تجاه متلقي الرسالة.

«لقد رأيت رسالتكم المؤرخة في ٢٦ رمضان ١٤١٠ هـ، وحقّاً، لو كان الاهتمام بمحتويات هذه الرسالة قبل ثمانية أعوام، وكان إرسال الرسالة قد حلّ محلّ إرسال الجنود، لم يواجه البلدان إيران والعراق ورماً الأُمّة الإسلامية هذه الحوادث والكوارث» (هاشمي رفسنجاني، ١٣٨٦: ٢٧). هنا قد تمّ استخدام عنصر "خصائص المشاركين" كعنصر من عناصر الخطاب. فقد وُصِفَ صدام بأنّه رجل الحرب بدلاً من رجل السلام؛ إذ إنّهُ اتَّخذ الحرب كأوّل قرار دون الاهتمام بطرق سلمية أخرى.

«إذ اعترف جميع حكومات المنطقة العربية، كما فعل البعض منها، بقيمة هذه الثورة المعادية للصهيونية والخطرة وتعاونت معها، فإنّ معادلة القوة الآن كانت لصالح الإسلام والمسلمين» (هاشمي رفسنجاني، ١٣٨٦: ٢٧). استخدم هنا "التفريق" كعنصر من عناصر الخطاب، لإلقاء اللوم على بعض دول المنطقة وإضعافها لتبنيهم سياسات خاطئة وتأجيجهم لهيب الحرب بين البلدين. الاستقطاب وانقسام العوامل الاجتماعية هو عنصر خطابي آخر في هذه الرسالة. وقد أدرج العراق في طيف "الآخر"، أي على نفس مستوى الصهيونية والدول الغربية الاستعمارية الأخرى، وبالتالي تم تخصيص كل الصفات السلبية لتلك الدول للعراق.

«طبعاً ليس لدينا مشكلة مع الأُمّة العربية وقد استفدنا من التعاون المخلص لبعض الحكومات العربية» (هاشمي

رفسنجاني، ١٣٨٦: ٢٨) استخدمت إيران، عنصر "التفريق" كعنصر من عناصر الخطاب أي أنها وضعت إيران وبعض الدول العربية في جانب وصادم في جانب آخر. وقامت بتقسيم العوامل الاجتماعية لتضعف موقف صدام بتذكيرها صدام: أن لدينا شركاء ومساعدين بين العرب أنفسهم.

«نحن نسعى جاهدين لتحقيق سلام حقيقي وشامل، ويواصل آية الله خامنئي، قائد الثورة الإسلامية، نفس المسار الذي رسمه الإمام الخميني لتحقيق السلام الشامل» (هاشمي رفسنجاني، ١٣٨٦: ٢٧). في هذا القسم من الرسالة، تم استخدام "الخيارات المعجمية" كعنصر من عناصر الخطاب. إذ تم استخدام كلمات مميزة ذات معنى خاص لتسمية الناشطين الاجتماعيين الإيرانيين. كلمات مميزة مثل: "القائد العظيم للثورة الإسلامية"، "قدس سره"، "حضرة"، "القائد المعظم"، "قائدنا الفقيده".... إن استخدام هذه الكلمات الخاصة تخلق جواً من القداسة والاحترام للمتحدث، وتبعاً لذلك تزداد قوة وفعالية كلماته. وأيضاً استخدمت "الإحالة" كعنصر من عناصر الخطاب. تربط إيران وجهات نظرها بأعلى مرجع للسلطة لاتخاذ القرار، وهو قرار ٥٩٨، وعلى هذا النمط تزيد من قدرتها ونفوذ كلامها. واستخدم المسؤولون الإيرانيون عبارة "السلام على من أتبع الهدى" لتوديع الرسالة. من منظور تحليل الخطاب: إن استخدام هذه العبارة للتوديع هو أمر مقصود وهادف مما يدل على الكراهية والاستياء.

تعد "الخطبة" من أقوى الوسائل التي يعتمد عليها المرسل "المتكلم" للتأثير على فكر الجمهور المستهدف واتجاهاته وسلوكه، ويعد الخطاب السياسي الإعلامي المستخدم في هذه الرسالة أوضح نمط خطابي يمكن أن نستكشف من خلالها التغير الفكري والاجتماعي الذين يطران على وجهات نظر الجمهور المستهدف. الخطاب السياسي هو دلالة نص في سياق معرفي أو اجتماعي ما، وهو يمثل رؤية إستراتيجية ذات أبعاد وتحولات فلسفية، حيث لكل خطاب سياسي سياقه الذاتي وإطاره المرجعي وفلسفته التي تحدد أولوياته وموضوعاته ومفرداته التعبيرية (شعبان ٢٠٢٠م: ٩). تنعكس ظاهرة الإقناع في لغة التخاطب السياسي في هذه الرسالة. إن دراسة هذه الاستراتيجيات المقنعة تكشف في النهاية كيفية تأثير السلطة على عقل المخاطب. الإقناع يعني محاولة تغيير المواقف ومن خلال التأثير على عقول الناس (أقا گل زاده، ١٣٩١: ١٧٦). الاستراتيجيات المستخدمة في خطاب هذه الرسالة هي: التكبير أي إبراز جهة دون أخرى، الانتقاء والمفاضلة، الاستقطاب وتوزيع المشاركين في الأنوار والآخرين، وتقاسم النفس إيجابياً وتقاسم الآخرين سلباً أو استراتيجية الانتقاص من الآخرين والتمسك بمصدر السلطة والإحالة إليها. إن انتظام الخطابات المعرفية ينتج عن كون تلك الخطابات خاضعة ومحددة مراقبة بواسطة قواعد، وإن تلك القواعد ليست عفوية ولا مجانية بل هي تنم عن مبدأ خفي للتنظيم ولها مقدرة على تكوين موضوعات وذوات (الداوي، ٢٠٠١: ٥٠) وعرفنا كيف قام المسؤولون الإيرانيون بالتغطية من خلال استخدام تقنيات تحليل الخطاب الآنف الذكر.

قد وظفت هنا "الدلالة الضمنية" كعنصر من عناصر الخطاب. لا يرى المسؤولون الإيرانيون أن صدام يستحق وداعاً حقيقياً لشنه حرباً شاملة ومدمرة ضد إيران خلال ثماني سنوات. ومن ثم، فإنهم يستخدمون عبارة تلتزم بأداب السلوك الدبلوماسي وتتجنب ضمناً تكرم متلقي الرسالة.

٤-٣- ردّ صدام على رسالة إيران

يبدأ صدام رسالته بالشكوى: «تسلّمْتُ رسالتكم الخطيّة المؤرخة في ٦/شوال/١٤١٠ الجوابية على رسالتنا المرسلة إليكم والمؤرخة في ٢٦/رمضان/١٤١٠ وقد قرأتها أكثر من مرّة أنا وإخواني في القيادة. رغم أنّنا قد فهمنا من رسالتكم أنّكم توافقون على اقتراحنا لعقد لقاء بيننا وبينكم على مستوى القمّة لإعطاء حلّ حاسمٍ إلّا أنّ روح الرسالة لم تكن كما كنّا نأمل، ذلك أنّها قد انطوت على عبارات مبطنة في بدايتها وحيثما وجدت فرصة لذلك وخشنة في خاتمها ... ومن ضمن ما ورد في رسالتكم من عبارات و مصطلحات "الحرب المفروضة" و "بطء الفهم" و اختتام رسالتكم بجملة "والسلام على من أتبع الهدى" بدلا من "والسلام عليكم" مما هو معتاد استخدامه في رسائل كهذه (هاشمي رفسنجاني، ١٣٨٦: ٧٩-٨٥).

إنّ اللغة والأداء من منظور الخطاب، وجهان لعملة واحدة؛ إذ تكون للغة نفس السلطة التي تكون للأداء. وفي بعض الحالات، قد يكون الكلام أنفذ وأقوى من الأداء. وفي هذا الصدد، نرى أنّ صدام وكوادر رئاسية عراقية أخرى قد اشتكوا من بعض الكلمات والعبارات المستخدمة في الرسالة الإيرانية. هذه الشكوى في حد ذاتها تؤكد الادّعاء بأنّ النص - وخاصة النص السياسي - موجّه وهادف.

ربما لم يكن صدام حسين وأعضاء آخرون في رئاسته على دراية بالقواعد النظرية لتحليل الخطاب، لكنهم فهموا جيّدًا قوة الكلمات والعبارات الإيرانية وقد اشتكوا من استخدام هذه الكلمات والعبارات من قبل المسؤولين الإيرانيين. في بداية الرسالة خاطب صدام متلقي الرسالة دون ذكر ألقابهم السياسية وبلا مبالاة. ربّما يمكن القول: إنّ استياء العراق من بعض الكلمات الإيرانية هو الذي دفعهم إلى بداية كهذه.

من وجهة نظر تحليل الخطاب، هذا النوع من التسمية ذو الدلالة الضمنية تحطّ من قدر المرسل إليه من خلال استخدام "الخيارات المعجمية" كعنصر من عناصر الخطاب، فقد صوّر صدام متلقي الرسالة كشخصيات حقيقية طبيعية للانقاص من شأنهم السياسي.

يتابع صدام قوله في الرسالة: «ويستحسن ونحن نسعى سوية إلى ما يحقّق السلام، أن لا ينشغل أي طرف ممّا بما هو ماض، على حساب ما هو مستقبل، لأنّ البقاء عند سياسة مضغ أحداث الماضي يجعل من ينطبق عليه هذا الوصف متّهما من قبل شعوبنا، وهي الأقدر على معرف خواص كل واحد ممّا، بأنّه بطيء الفهم» (هاشمي رفسنجاني، ١٣٨٦: ٨٧). في الواقع، من خلال استخدام هذه الكلمة، يعزّم صدام تهميش أفعاله السابقة في شتّى الحرب ويسعى أن يقدّم نفسه كناشط سياسي يحبّ السلام. وفي هذا الصدد، استخدم مكوّن الخطاب "خصائص المشاركين" بشكل تمييع سلبياته وإبراز سماته الإيجابية. في هذا القسم من الرسالة، استخدم صدام "التعميم" كعنصر من عناصر الخطاب لجعل النص أقوى وأنفذ. ويهدّد صدام بأنّ أيّ شخص يعالج قضايا الماضي سيرفضه "شعبي البلدين".

استخدم صدام في ختام رسالته عبارة "السلام عليكم" للتوديع. من وجهة نظر تحليل الخطاب، يمكن أن تحمل هذه العبارة "الدلالة الضمنية" وأن تكون كناية للمسؤولين الإيرانيين الذين استخدموا العبارة الهادفة "والسلام على، من أتبع الهدى"

في نهاية رسالتهم.

٤-٤- ردُّ إيران على رسالة الجمهورية العراقية

في هذه الرسالة، إيران اشتكت من صدام لاستخدامه بعض الكلمات والعبارات الهادفة والموجَّهة التي تضعف دور إيران. تُعدُّ الشكوى الواردة في هذه الرسالة تأكيداً على أنَّ طرقي المراسلات - وإن كان ذلك لا شعورياً- قد استخدمتا عناصر الخطاب لتقوية كلماتهم. أعربت إيران عن استيائها تجاه استخدام صدام عنصر «الاستقطاب»؛ إذ جعل صدام الأمة العربية بأكملها ضد إيران ثم تحاول تذكر صدام بأنَّ ليس كل العرب ضد إيران، لكن جزءاً كبيراً منهم يؤيد إيران.

كتبت إيران في هذه الرسالة عن حضور المشاركين في اللقاء القادم قائلاً: "وفيما يتعلق بسلطات التفاوض النهائية، نتأكد من الآن فصاعداً بأنَّ آية الله خامنئي، قائد الثورة الإسلامية، لن يشارك في المفاوضات" (هاشمي رفسنجاني، ١٣٨٦: ٤١). هذه العبارة تدلُّ ضمناً على أنَّ الموقف السياسي والاجتماعي للقيادة الإيرانية أجلّ من أن يحضر في اللقاء المشترك مع الرئيس العراقي. علاوة على ذلك في هذا القسم من الرسالة، تمَّ استخدام مكون الخطاب "الخيارات المعجمية". ردّاً على صدام الذي قد اكتفى في خطابه المسؤولين الإيرانيين بذكر أسمائهم مجرداً من الألقاب الدبلوماسية، فإنَّ إيران قد ذكرت أسمائهم متصفاً بالألقاب الدبلوماسية والمحترمة.

«وفي الختام، أسأل الله العليّ القدير أن يوفِّقنا التوفيق التام في القضاء على العداء واجتثاث الصراع وتمهيد الطريق أمام الشعبين وشعوب المنطقة ودولها من أجل السلام والتعاون لما فيه خير الأمة الإسلامية والجهاد ضد أعداء الإسلام والمسلمين . وخاصة في تحقُّق الحرية الكاملة لأرض فلسطين الإسلامية» (هاشمي رفسنجاني، ١٣٨٦: ٤٣). قد استخدم في هذا القسم من الرسالة «الاستقطاب» كعنصر من عناصر الخطاب. الاستقطاب كواحدة من المكونات الفعالة في الخطاب يعني بتقسيم العملاء إلى "نحن" و "الآخرين". يسعى منتج الخطاب، مع هذا التقسيم وخلق المسافة، إلى سيطرة نوع واحد من السلطة الاجتماعية من أجل إقناع الجمهور بأنَّ إيديولوجية الطيف المعين هي إيديولوجية مصيبة والتفكير المعارض غير مبرر وغير طبيعي (فان دايك، ٢٠١٤: ٢٦١). استخدم المرسل في هذا القسم من الرسالة، عناصر يشترك فيها شعوب المنطقة وجميع دولها مثل: الجهاد ضد أعداء الإسلام والمسلمين والحرية الكاملة لأرض فلسطين الإسلامية وهي عناصر تسببت في الاتحاد والاستقطاب بين البلدين وشعبهما. هنا تعتبر إيران، أعداء الإسلام والمسلمين، أي: من الآخرين. وتحسب العراق جزءاً منها، أي من الأنوات. وتتمنى لكل الأمة الإسلامية التوفيق والسلام والطمأنينة. فالمضامين التي يستخدمها والكلمات والتعبيرات والجمل تمثل فكرة تجعل للمتلقى حضوراً معيناً في الخطاب، وتؤثر فيه، وكذلك تؤثر الصفات السياسية الخاصة به وسياسته التي يتبناها في المشاركة والموافقة قد ساعدت هذه المقومات على تحقيق الاستقطاب وتزايد سلطة النص وشعبيته. واستخدم ضمير الجمع لمنح الشعور بالدفع والحيوية والمشاركة في الأفعال والمشاعر (عكاشة، ٢٠٠٥م: ١٠٧) يعدّ إنكار العنصرية من إستراتيجية تقدّم نفس إيجاباً، وتحظر المعايير والقيم العامة أنماط التعصب والتمييز العرقي الجلية. يحاول الناس أن يعملوا ومن ثم يتكلمون بالطريقة التي تجعل المتلقين لهم أو المستمعين إليهم يكوّنون انطباعاً إيجابياً عنهم بقدر المستطاع، أو يعملون على

تجُنب الانطباع السلبي عنهم على الأقل (فان دايك، ٢٠١٤: ٢٦١). بتسليط الضوء على هذه الرسالة تتبيّن أنّ الخطاب هنا هادف ويسعى للاتحاد بين المشاركين. ونجد العلاقة الوثيقة بين اللغة والعقل وكاد أن تسخر اللغة العقل. وتُرى أفكارها مقبولة ومبررة. إذ تحاول أن تلهم الجمهور ما هو صحيح وما هو خطأ.

٤-٥- ردّ العراق على رسالة إيران

وهكذا بدأت الرسالة: «السيد على أكبر هاشمي رفسنجاني المحترم / رئيس جمهورية إيران الإسلامية. السلام عليكم» (هاشمي رفسنجاني، ١٣٨٦: ٤٦). هنا استخدمت الخيارات المعجمية كعنصر من عناصر الخطاب. خاطب صدام في هذه الرسالة رئيس إيران أولاً باسمه الخاص وثم بألقابه السياسية. وفي خلال المراسلات هذه هي المرة الأولى التي يخاطب صدام المسؤولين الإيرانيين باستخدام الألقاب الدبلوماسية والمحترمة.

هذا النوع من الخطاب يحمل دلالة ضمنية على أنّ الحرب تقترب من نهايتها، والتنافس اللفظي والقلق الناتج عن ذلك أفسح المجال للمراسلات السياسية الودّية. في هذه الرسالة، استخدم صدام أيضاً الاستقطاب كعنصر من عناصر الخطاب لجعل كلامه أنفذ وأقوى. ومن هذا المنطلق وضع صدام، إيران والعراق في طيف "الأنوات"، وجعل أولئك الذين مازالوا يؤججون لهيب الحرب بين البلدين في طيف "الآخرين": «إنّ قوى الظلام التي تبحث في زواياه، وبأيديها أدوات الغيلة، قادرة تحت تأثير الشعور بحقيقة أنّ الحرب لم تنته من الناحية القانونية بين البلدين بعد، على أن تدفع إلى ما يطلق شرارة الحرب مجدداً ... وإنّ الأشرار المترصّين بنا قد يدفعهم عجزهم عن تحقيق أهدافهم دون إشغال البلدين، فيندفعون إلى ما يطلق الشرارة بوسائلهم الخبيثة ... ولا يستفيد عند ذلك إلا السيئون، وسيكون ذلك على حساب شعوبنا كما أسلفنا ... فإنّ الواجب يقتضي، ليس الوصول إلى السلام فقط وإنما الوصول إليه بأسرع وقت، لتبقى إمكانية تحقّق أحلام الظلام والظالمين بعيدة عن ساحتنا» (هاشمي رفسنجاني، ١٣٨٦: ١٠٥ و١٠٦). الفقرة الآتية هي فقرة الاختتام لهذه الرسالة: «هذا أيّها السيد الرئيس ما بدا لنا، أنّه يحقّق السلام الدائم والشامل بين العراق وإيران وهو مقترح متكامل ... عناصره مترابطة وغير قابلة للتجزئة وهو ما عاونتنا تجربتنا عن تلمّسه، بما في ذلك، ما أوحى به، أو ما تضمنته المحادثات بين ممثلينا في جنيف، السيدين ناصري ويزان. وفي هذا يكون كل شيء قد أصبح واضحاً بما لا يدع مجالاً لأي تفسير غير هذا، وما نشده من السلام الحقيقي الشامل والسريع . والله أكبر» (هاشمي رفسنجاني، ١٣٨٦: ١١٨).

في هذا الجزء من الرسالة، تمّ استخدام "المغالطة". اعتبر صدام اقتراحه أفضل طريق لحلّ الخلافات بين البلدين، الذي لا يترك أي مجال للاحتجاج. استخدم صدام أيضاً "الإحالة" كعنصر من عناصر الخطاب ليقنع الجمهور بأنّ هذا الاقتراح ليس عيباً، واعتبره نتيجة تجربة ومحادثات المندوبين في جنيف.

٤-٦- ردّ إيران على رسالة العراق

هكذا تبدأ الرسالة: «سماحة السيد صدام حسين، الرئيس! المحترم! تمّ استلام رسالتك المؤرخة في ١٢/٥/٦٩». (هاشمي رفسنجاني، ١٣٨٦: ٥٦).

بعد تلقي رسالة صدام، هناك تغيير ملحوظ في نوع خطاب إيران، ولأول مرة يستخدم المسؤولون الإيرانيون صفة "المحترم" في خطاب صدام.

رداً على مقترحات صدام المنفعية وأحادية الجانب من أجل السلام، استخدمت إيران "الإحالة" كعنصر من عناصر الخطاب لتعزيز كلامها وإقناع الجمهور. وفي هذا المنطلق صرّحت إيران قائلة: «يستند اقتراحنا المحدد إلى معاهدة ١٩٧٥ الخاصة بمفاوضات السلام، لأنه بدون الالتزام بالمعاهدات السابقة، ولا سيما تلك التي عليها توقيعكم، لا يمكن الثقة فيما يقال اليوم». (هاشمي رفسنجاني، ١٣٨٦: ٥٨). تستخدم إيران "الإحالة" كعنصر من عناصر الخطاب لتفرض مقترحات صدام أحادية الجانب رفضاً قانعاً. بمعنى آخر، ربطت إيران رأيها بأعلى سلطة لاتخاذ القرار لتجعل كلامها أقوى وأنفذ. في هذا الصدد، قد ذكرت إيران صدام بأن أساس محادثات السلام هو "معاهدة ١٩٧٥" و "العقد" الذي عليه توقيع صدام نفسه. هذا التذكير قد جعل الكلام نافذاً وقانعاً إذ صوّر صدام بأنه رجل متسرع قد نسي ما وعده نفسه سابقاً.

«نحن نوافقكم بشكل كامل في سرعة التقدم نحو السلام، ولكن ... يجب أن نلتزم بالاتفاقيات بين البلدين المعترف بها دولياً، إذا قبلنا هذا، فلا داعي للبحث عن أي شيء آخر غير معاهدة ١٩٧٥ لتحديد الحدود البرية والنهرية، وإذا لم نقبل، فمن الأفضل ترك تنفيذ القرار للأمم المتحدة ومجلس الأمن» (هاشمي رفسنجاني، ١٣٨٦: ٦٠). تستخدم إيران مرة أخرى من الإحالة كعنصر من عناصر الخطاب لتجعل كلامها موجّهاً. كلما تمّت نسبة كلمة ما إلى سلطة عليا، فزادت قوتها ومصداقيتها. في هذه الرسالة، تعتبر إيران رأيها بشأن الحدود خاضعاً للقرار السابق ومعاهدة ١٩٧٥، وكذلك لقرار مجلس الأمن الدولي. بهذه الطريقة يصبح كلام إيران مقنعاً وفعالاً.

إيران تكتب كالتالي: «في الرسالة التي قد بُدئت باسم الله تعالى وقد خُتمت بهذا الاسم الأكبر أيضاً لا يُصدّق أن يعلى المبادئ العرقية والإثنية على المبادئ الإسلامية، خلافاً لتعاليم الإسلام القويمة! الآيات المحكمات نحو: "إنما المؤمنون إخوة"، "إنّ هذه أمتكم أمة واحدة"، "وإنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم" كلّها يعلم المسلمون بأن يفضلوا تعاليم الإسلام على المصالح العرقية والجغرافية واللغوية» (هاشمي رفسنجاني، ١٣٨٦: ٦٠).

يُعتبر هذا المقطع من الرسالة ردّاً على صدام، الذي كان قد احتجّ في رسالته السابقة على موقف إيران تجاه الحرب العراقية الكويتية ووصف الحرب بين العراق والكويت بأنها حرب بين مجموعتين عرقيتين وإيران ليس لديها أي مكانة للوساطة. استخدم صدام "الاستقطاب" كعنصر من عناصر الخطاب احتجاجاً على موقف إيران من الحرب العراقية - الكويتية، ووضع العراق والكويت في جانب وإيران من جانب آخر. لكن ردّاً على صدام، استخدمت إيران "الإحالة" كعنصر من عناصر الخطاب وتربط ردها بالتعاليم الإسلامية من أجل رفض الأدوات التي استخدمها صدام. وإيران من خلال ربط تصريحاتها بالتعاليم الإسلامية التي يدعي صدام التمسك بها، تقدم ردّاً قوياً ومقنعاً إلى صدام. إنّ إيران تريد أن تثبت بأن موقفها تجاه الحرب العراقية الكويتية ليس موقفاً شخصياً بل بُني على أساس التعاليم الإسلامية. في نهاية هذه الرسالة، استخدمت إيران لأول مرة عبارة "السلام عليكم" للتوديع. ويبدو أنّ احتجاج صدام لعبارة الوداع السابقة "السلام على من أتبع الهدى" قد أرغم إيران على هذا النوع من التوديع.

٤-٧- ردُّ العراق على رسالة إيران

السيد الرئيس على أكبر هاشمي رفسنجاني المحترم

رئيس جمهورية إيران الإسلامية

بعد التوكل على الله العليّ القدير، ... ومن أجل فتح المجال لتفاعل حاسم مع كل المؤمنين لمواجهة الأشرار الذين يريدون بالمسلمين وأمة العرب شرّاً ومن أجل إبعاد العراق وإيران عن ابتزاز والأعيب القوى الدولية الشريرة وأذناهم في المنطقة وانسجاماً مع روح مبادرتنا أعلننا عنها في ١٢/٠٨/١٩٩٠ والتي توخينا منها تحقيق السلام الشامل والدائم في المنطقة ... قرّرنا ما يلي: ١- الموافقة على مقترحكم الذي جاء في رسالتكم الجوابية المؤرخة في ٠٨/٠٨/١٩٩٠). (هاشمي رفسنجاني، ١٣٨٦: ٦١-٦٢). استخدم صدام "دلالة ضمنية" في خطابه متلقي الرسالة. تمّ استخدام الاسم الحقيقي والاسم القانوني للمرسل إليه بالكامل وبذكر الألقاب المحترمة. تدل هذه البداية على أن الشعور بالثقة والأمل في التعاون بين مسؤولي البلدين قد تعزز ووصل إلى مرحلة التفاؤل. وأيضاً استخدم "الاستقطاب" كعنصر من عناصر الخطاب. لقد وضع صدام إيران في جانب "الأنوات" وفي هذا الصدد استخدم كلمات مثل: الدولة المجاورة، الدولة المسلمة، المسلمون الشرفاء، والشقيق.

كل هذه الكلمات، هي كلمات مميّزة ولها قدر كبير من القوة والإقناع. صدام لم يضع إيران في موضع العدو بل في موقع الأخ، وهذا النوع من الخطاب له مجموعة واسعة من التداعيات. إنّ تطبيق هذه المكوّنة من مكونات الخطاب بمهّد الطريق للطرف الآخر للثقة والتعاون في حل الأزمة. كما أنّ استخدام الكلمات الدينية والإسلامية من منظور تحليل الخطاب تعتبر كلمات فعالة ومميّزة؛ لأنها تمنح الرسالة صبغة دينية.

يذكر صدام الجمهور بأننا نسعى لإرضاء الله في النية والعمل. صدام يضع إيران والعراق في طيف واحد، ومعارض السلام بين إيران والعراق في الطيف "الآخر". في هذا الصدد، استخدم "الخيارات المعجمية" كمكوّن من مكونات الخطاب. ووصف الآخرين بصفات مثل: "قوى الشر" و"مؤجّجوا هيب الحرب" و"قوى الشر الدولية" و"أذناهم" و"الأعداء المترددة" و"الشكوك". هجا الصدام الآخرين؛ «إذ الهجاء يقوّم صورة قبيحة من المهجور وينسب إليه الرذائل، هادفاً تشويه الصورة في المجتمع وبين الناس» (ريحاني ورضواني، ١٤٣٩ق: ٥٠). في حين يصف رئيس إيران بصفة الأخوة. يستمرّ صدام كتابة الرسالة قائلاً: «أبها الأخ الرئيس على أكبر هاشمي رفسنجاني ... في قرارنا هذا، أصبح كل شيء واضحاً وبذلك تحقّق كلّ ما أردتموه، وما كنتم تركزون عليه، ولم يبق إلا ترويج الوثائق لنطل معاً...» (هاشمي رفسنجاني، ١٣٨٦: ١٣٣).

يصرّح صدام بأننا موافقون على اقتراحكم وكل ما طلبتم. يُستنبط من هذا التصريح بأن المسؤولين الإيرانيين تمكنوا من إثبات شرعيتهم للمخاطب خلال الرسائل المتبادلة وانتصروا في هذه المعركة الكلامية.

من خلال تدقيق النظر في المراسلات المتبادلة نجد أنّ اللغة هي أقوى أدوات الاتصال؛ لأنها تعكس طرق الحياة، الخاصة بكل شعب، ودرجة تقدّمه أو تخلفه، كما تعكس الميراث الثقافي، والتاريخي والقيم والمعتقدات، وتمثّل الإدراك المشترك بين المرسل والمستقبل، فتسهل عملية الاتصال، وتشعر المستقبل بالدفء والانتماء لصاحب الرسالة، فهي وسيلة تفاهم مشتركة،

وتعدّ من أقوى أوامر الصلة بين أبناء الشعب أو الأمة التي تتحدّثها، ومن ثمّ فهي عامل مؤثر بشكل فعال على الرأي العام، إذا أحسن المرسل توظيفها. وأيضاً تنعكس شخصية المرسل على الخطاب وفكره أيضاً. والمرسل القوي بسلطته ومدعم بما، فيأتي خطابه صريحاً وموجّهاً، وتفوح منه رائحة التسلط والكبر. وتتحدّد لغة الخطاب عادة من خلال العلاقة القائمة بين المرسل من جهة وبين المتلقي من جهة أخرى، ولذلك فإنّ شكل اللغة ومضمونها يتحدّدان بهذه العلاقة، ويتأثران تأثيراً واضحاً. وتؤثر أيديولوجية المرسل وسياسته وأفكاره في مسيرة جمهوره، وتلك الأفكار التي يتبناها المرسل تشير من بعيد إلى سعة معرفته ووعيه وخبرته بالأمر والنظام السياسي يمد شبكاته إلى الجموع؛ من المرسل والمتلقي والجمهور ليحقق انسجاماً معها، ويستخدم أدوات مؤثرة: مثل التوجيه الإقناعي، والضغط والتشويه المتعمد والتجنيد السياسي. ويستخدم السياسيون في ذلك كافة الأدوات التي تحقق مقاصدهم مثل لغة الخطاب ليحققوا بذلك نجاحاً اتصالياً يؤثّر في الرأي العام (عكاشة، ٢٠٠٥: ٢٥-٢٧).

٥- النتائج

بما أنّ مراسلات صدام واقتراح السلام مسألة أيديولوجية، فقد كان المسؤولون في كلا البلدين حريصين للغاية في ردودهم. لقد استخدموا مكونات الخطاب لتقوية خطابهم وإضعاف ادعاء متلقي الرسالة. بعد دراسة هذه الرسائل من منظار تحليل الخطاب يكتشف بأنّ هناك علاقة دياكتيكية بين الأيديولوجيا والسلطة واللغة.

كلما كان الناشط الاجتماعي والسياسي أقوى من الناحية الاجتماعية والسياسية، تتضاعف إمكانيته اللغوية، ولهذا الإمكانية اللغوية تأثير بناء في إظهاره السلطة. تمّ استخدام «الخيارات المعجمية» كعنصر من عناصر الخطاب في رسائل كلا الجانبين. إنّ المسؤولين في كلا البلدين تنافسوا حتى في تسمية بعضهم البعض أو استخدام عبارات التوديع. على سبيل المثال، قد استخدموا عبارة ملتبسة وغامضة في التوديع حتى لا يعاتبوا من قبل مواطنهم. لقد برّر رؤساء العراق وإيران مراراً وجهات نظرهما وأضعفا رؤية الطرف الآخر من أجل إحراز الأهداف. صدام استخدم «الإحالة» كعنصر من عناصر الخطاب بالاعتماد على السلطة الدولية التي تؤجج لهيب الحرب ليظهر سلطته على إيران وتبعاً لذلك يجعل كلامه أقوى وأنفذ. الاستقطاب هو أحد مكونات الخطاب البارزة التي استخدمها صدام حسين بشكل متكرر لتعزيز خطابه.

صدام يضع بعض الأحيان العراق والدول العربية في جانب وإيران في جانب آخر لتتظاهر أمام المسؤولين الإيرانيين بأنّها الدولة الوحيدة في المنطقة ولا بدّ لها أن تقبل مقترحات صدام. وأحياناً أخرى يضع العراق مع الدول الكبرى في العالم في طيف واحد وإيران في جانب آخر لإقناع إيران بأنّها وحيدة في المستوى العالمي أيضاً. وفي المقابل إيران تستخدم «الإحالة» كعنصر من عناصر الخطاب وتربط قراراتها بالتعاليم الإسلامية لتذكير صدام بأنّ أساس قرارات إيران هو التعاليم الدينية ولن تخضع لسلطة الظالمين. من ناحية أخرى، تربط إيران قراراتها بمعاهدة ١٩٧٥ والقرار ٥٩٨ وربط كلمتها بمصادر دولية ذات مصداقية تجعل كلامها أقوى وأنفذ. استخدم صدام "الاستقطاب"، للردّ على المسؤولين الإيرانيين، لكنه هذه المرة يضع إيران

والعراق في نفس الطيف، ويجعل الدول الأخرى في طيف الأوغاد والمفتنين والمتشددين. استخدم صدام «الإحالة» كعنصر من عناصر الخطاب ليحجّل كلامه موجّهاً وهادفاً. ومن هذا المنطلق يربط كلامه بعض الأحيان بالتعاليم الدينية ويشجع الجميع على التمسك بها. كما استفاد صدام من «خصائص المشاركين» كعنصر من عناصر الخطاب وقام بتقليل أو تهميش إجراءاته السلبية. فهو يربط سبب الحرب بالأوغاد والدول الكبرى الاستعمارية في العالم لتهميش دوره في شنّ الحرب المدمّرة.

المصادر والمراجع

١. آقاگل زاده، فردوس، (١٣٩١)، زبان شناسی حقوقی، تهران: نشر علم.
٢. _____، (١٣٩٢)، فرهنگ توصیفی تحلیل گفتمان و کاربرد شناسی، تهران: نشر علمی.
٣. الداوي، عبدالرزاق، (٢٠٠١م)، ميشل فوكو في الفكر العربي المعاصر، بيروت: دار الطليعة للطباعة.
٤. ريحاني، زينب ورضواني، محمد مهدي، (١٤٣٩ق)، "الهجاء السياسي في شعر ابن بسّام البغدادي"، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية، جامعة "تربيت مدرّس"، المجلد ٢٤، العدد ٢، صص ٤٧-٦٥.
٥. شعبان، فاطمة، (٢٠٢٠م)، "تحليل الخطاب الأخير للرئيس السوداني عمر البشير في ضوء مناهج تحليل الخطاب النقدي"، مجلة: البحوث الإعلامية، جامعة الأزهر كلية الإعلام، العدد ٥٥، الجزء الثالث، صص ١٥٨١-١٦٢٧.
٦. عبد العليم، محمد، (١٩٩٠م)، "الخطاب السادتي: تحليل الحقل الأيديولوجي للخطاب"، كتاب الأهالي، الرقم ٢٧، القاهرة: حزب التجمع الوطني التقدمي.
٧. عكاشة، محمود، (٢٠٠٥م)، لغة الخطاب السياسي، مصر: دار النشر للجامعات.
٨. فان دايك، توين، (٢٠١٤م)، الخطاب والسلطة، ترجمة: غيداء العلي، القاهرة: المركز القومي للترجمة.
٩. قاسمي اصل، زينب و نيازي، شهریار، (١٣٩٨)، مطالعه ساختهای گفتمان مدار معنایی در روزنامه الحياه عربستان با تكيه بر الكوى ون دايك، فصلنامه علمی پژوهشی زبان پژوهی دانشگاه الزهراء، سال یازدهم، شماره ٣٢، پاییز ١٣٩٨، صص ٣٣١-٣٥٥.
١٠. فجرى، حسينعلی و نظری، جواد، (١٣٩٢) کاربرد تحلیل گفتمان در تحقیقات اجتماعی، تهران: جامعه شناسان.
١١. محمد، محمد یونس علی، (٢٠١٦م)، تحلیل الخطاب وتجاوز المعنى، عمان، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.
١٢. مخنفر، حفيظة، (٢٠١٨م)، مقارنة سوسيو - لسانية لتحليل خطاب الحياة اليومية، مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد ١٥، العدد ٢٦، صص ٤٨-٦٣.
١٣. منصورى، اسماعيل، (١٣٩١)، آشنایی با دفاع مقدس، چاپ ٣١، قم: انتشارات خادم الرضا.
١٤. هاشمی رفسنجانی، اکبر، (١٣٨٦)، دوازده نامه؛ متن نامه‌های مبادله شده ایران و عراق، تهران: دفتر نشر معارف انقلاب.

۱۵. یارمحمدی، لطف‌الله، (۱۳۸۵)، گفت‌وگوهای سیاسی رایج انتقادی، تهران: هرمس.

- [16] Paltridge, B., (2016). *An Introduction to Discourse Analysis*. T. Hemmati (Trans.). Tehran: Persian Writing Publications [In Persian].
- [17] Schiffrin, D., Tannen, D., & Hamilton, H. E., (2001). *The Handbook of Discourse Analysis*. New York: Blackwell Publisher.
- [18] Van Dijk, T. A. (2000). 'Critical discourse analysis' [HTML Document] Retrieved from <<http://www.discourse-insociety>>.
- [19] Van Leeuwen, Theon. (1996). The Representation of social Actors: In coldes coulthard. Texts and practices: readings in CDA. C.R. & coulthard, M (Eds). London: Routledge.
- [20] ----- (2008). *Discourse and Practice; New Tools for Critical Discourse Analysis*. Oxford: Oxford University Press.

References

- [1] Abdul Alim, Muhammad. (1990). 'Sadat discourse: An analysis of the ideological field of discourse'. *Parents' Book*. No. 27. Cairo: The Progressive National Rally Party.
- [2] AghaGolzadeh, F., (2012). *Legal Linguistics*. Tehran: Alam Publishing.
- [3] AghaGolzadeh, F., (2013). *Descriptive Culture of Discourse Analysis and Pragmatics*. Tehran: Alam Publishing.
- [4] Al-Dawi, A., (2001). *Michel Foucault in Contemporary Arab Thought*. Beirut: Dar al-Tale'a for printing.
- [5] Ghasemi Asl, Z. & Niazi, Sh., (2019). 'A Study of Semantic-Oriented Discourse Constructions in the Saudi Newspaper Al-Hayat Based on Van Dijk's Model'. *Quarterly Journal of Linguistic Research*, Al-Zahra University. 11 (32), 331-355 [In Persian].
- [6] Hashemi Rafsanjani, A., (2007). *Twelve Letters; Texts of Iran-Iraq Exchange Letters*. Tehran: Enqelab Maaref Publishing House [In Persian].
- [7] Makhnfar, Hafida, (2018). 'A socio-linguistic approach to analyzing the discourse of everyday life'. *Social Sciences Journal*. Volume 15. Issue 26. Pp. 48-63.
- [8] Mansoury, I. (2012). Familiarity with Sacred Defense. The Servant of Satisfaction Spreads.
- [9] Muhammad, Muhammad Yunus Ali, (2016). Analyzing the discourse and transcending the meaning. Amman. Knowledge treasures house for publication and distribution.
- [10] Okasha, M., (2005). *The Language of Political Discourse*. Egypt: University Press.
- [11] Paltridge, B., (2016). *An Introduction to Discourse Analysis*. T. Hemmati (Trans.). Tehran: Persian Writing Publications [In Persian].
- [12] Qajri, H. A. & Nazari, J., (2013). *Application of Discourse Analysis in Social Research*. Tehran: Jame Shenasan Publications [In Persian].
- [13] Reyhani, Z & Radwani, M., (2017), "Political Satire in the Poetry of Ibn Bassam Al-Baghdadi", *Journal of Studies in Humanities*, Tarbiat Modares University, Vol. 24, No. 2, Pp. 47-65.
- [14] Schiffrin, D., Tannen, D., & Hamilton, H. E., (2001). *The Handbook of Discourse*

- Analysis*. New York: Blackwell Publisher.
- [15] Shaban, F., (2020). An analysis of the recent speech of Sudanese President Omar al-Bashir in light of the methods of critical discourse analysis. *Journal of Media Research*. Al-Azhar University, Faculty of Media. Issue 55, Part 3. Pp. 1581-1627.
- [16] Van Dijk, T., (2014). *Discourse and Authority*. Translation: Gheida Al-Ali. Cairo: The National Center for Translation.
- [17] Van Dijk, T. A. (2000). 'Critical discourse analysis' [HTML Document] Retrieved from <<http://www.discourse-insociety>>.
- [18] Van Leeuwen, Theon. (1996). The Representation of social Actors: In coldes coulthard. Texts and practices: readings in CDA. C.R. & coulthard, M (Eds). London: Routledge.
- [19] ----- (2008). *Discourse and Practice; New Tools for Critical Discourse Analysis*. Oxford: Oxford University Press.
- [20] Yar Mohammadi, Lotfollah (2006). *Common Critical Discourse*. Tehran: Hermes [In Persian].

Iraqi and Iranian Presidents' Correspondences: A Critical Discourse Analysis

Rooh Allah Nasiri*

Associate Professor, Department of Arabic Language and Literature, University of Isfahan, Iran

Abstract

About two years after the Iraq-Iran war, and at a time when Iraqi-Iranian relations were neither war nor peace, Saddam Hussein as Iraq's top political leader, wrote letters to high-ranking Iranian officials. In the correspondences, he sought to portray himself as a pacifist seeking a peaceful solution to the Iraq-Iran crisis. Iranian officials replied obsessively to all the letters. The role of these letters was very important because they were written after the war that incurred heavy human and material losses between the two countries. At that time, officials of both countries were very careful and cautious in what to say and how to say it. Probably, it could be said that the war between the two countries had gone from a physical battle to an attempt at verbal persuasion. Therefore, it is important and necessary to examine and analyze these messages through critical discourse analysis. After reviewing the correspondences, it became clear that there was a dialectical connection between their ideology, power, and texts. The more socially and politically powerful the actor is, the more opportunity he has for linguistics, and in turn, has an effect on his display of power. Officials of both countries – even perhaps unknowingly - used the discourse components to strengthen and direct their discourse; components such as: polarization, reference, lexical options, participant characteristics, implicit signification, distance, and fallacy.

Keywords: Discourse; Critical Discourse Analysis; Iran and Iraq; Letters from Presidents.

* Corresponding Author's E-mail: r.nasiri@fhn.ui.ac.ir

تحليل نامه‌های رئیس جمهور عراق و ایران؛ بر اساس تحلیل گفتمان انتقادی*

روح اله نصیری

دانشیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه اصفهان

چکیده

حدود دو سال پس از جنگ تحمیلی عراق و ایران و در دوره‌ای که رابطه بین عراق و ایران نه جنگ و نه صلح بود، صدام حسین به عنوان بالاترین مقام سیاسی عراق، نامه‌هایی خطاب به مسؤولان بلند پایه‌ی ایران نوشت. او در این نامه‌ها درصدد بود خود را فردی صلح طلب معرفی کند که به دنبال حل مسالمت آمیز بحران عراق و ایران است. مسؤولان ایرانی نیز با وسواس و همفکری تمام نامه‌ها را پاسخ دادند. این نامه‌ها چون بعد از سالها جنگ شدید و کشت و کشتار بین دو کشور نگاشته می‌شد از اهمیت قابل توجهی برخوردار بود. مسؤولان هر دو کشور، در این که چه بگویند و چگونه بگویند بسیار همفکری، دقت و احتیاط می‌کردند. شاید بتوان گفت جنگ بین دو کشور از نبرد فیزیکی به تلاش برای مجاب سازی کلامی رسیده بود. از این رو اهمیت و ضرورت دارد که این نامه‌ها به روش تحلیل گفتمان انتقادی، بررسی و تحلیل شود. پس از بررسی نامه‌ها از منظر گفتمان شناسی مشخص شد که بین ایدئولوژی، قدرت و متن نامه‌ها ارتباط دیالکتیکی وجود دارد. هر چه کنشگر سیاسی واجتماعی از لحاظ سیاسی - اجتماعی قدرتمندتر باشد مجال زبان آوری او بیشتری می‌شود و این زبان آوری نیز به نوبه‌ی خود در قدرت نمایی او تأثیر دارد. مسؤولان هر دو کشور از مؤلفه‌های گفتمانی برای قدرتمند و جهت‌مند کردن کلام خود استفاده کرده‌اند؛ مؤلفه‌هایی چون: قطب بندی، ارجاع، گزینه‌های واژگانی، ویژگی‌های مشارکت کنندگان، دلالت ضمنی، ایجاد فاصله و مغالطه.

کلید واژگان: گفتمان"، "تحلیل گفتمان انتقادی"، "نامه‌های دو رئیس جمهور".

*Email: r.nasiri@fgn.ui.ac.ir

نویسنده مسئول: